« الاتحاد الوطني »
والشكل الراهن للسلطة في الاردن

هاني حوراني

[١]

في ٧ ايلـــول ١٩٧١ ، اي بعيد قرابة الشهرين من خـــروج المقاومة من جبـــال عجلون والاحراج ، وبعد مرور عام على قتال ايلول ، اعلن الملك ، قيام تنظيم سياسي عـــام في البلاد « يضم جميع ابناء الشعب وبناته ، وينظم طاقات المجتمع وامكاناته ، ويوجههـــا نحو اهداف محددة واضحة »(١). وبصيغة « الاتحاد الوطني » لم يعد النظـــام يتحدث باسم الشرائح الطبقية والفئات العليا من المجتمع ، بل أعطى نفسه حق الحديث باسم جميع الطبقات وباسم الشعب وعاد الملك ليؤكد أن الاتحاد الوطني « ليـــس هو تنظيما حزبيا بالمعنى السياسي او الاجتماعي المعروف ، ولكنه اطار عام ينتظم الانسان والحياة في بلدنا »(٢). فما الذي حصل ؟ وماذا يعبر هـــذا التحول ، وبأي اتجـــاه يجري داخل النظام ؟

لحظة الاعلان عن الاتحاد الوطني ، كانت ذاكرة الجماهير ما زالت ندية . وتعود الى ما قبل عام ، حين كانت توطن نفسها للانعتاق ، واذ ذاك كانت الردة الرجعية قد استكملت ملامحهـــا ، واستعادت كل تقاليدهـــا بسرعة . وخلال عام اخذت كـــل ادوات القمع ورموزها التي لم تكن حتى الامس القريب ، غير أكسسوارات لمسرحية تاريخية بالية ، تستعيد اعتبارها ، و « عاد كذلك الى الظهور رجال الدرك القـــدامى الذين بدا انهم اندثروا منذ امد بعيد » . وفي ايام ايلول الدموية استنفر الملك اسلحة الماضي في الحرب الصليبية التي شنها ضد المقاومة والحركة الوطنية الديمقراطية . واتحدت الشرائـــح الطبقية العليا في الدولة والجيش ، حيثما رأت جحيمها في مرمى البصر ، وتسلحت بالعداء البدائي ، وبالاخطاء المقدمة من الجبهة المقابلة لها ، واعطت فيالقها شرف القتال من اجل اقرار سلطة « القانون والنظام » واحباط « المؤامرة الجهنمية » ومشروع « الوطن البديل » . وهكذا اندفعت الفيالق الصليبية الجديدة للقتال بشراسة ، مسلحـــة بوعود غسل شرفها العسكري المهدور ، واعادة اعتبارها لذاتها ، والانتقـــام من العقائديين والملحدين ، والفدائيين غير الشرفاء ، وتطهـــير الفداء من مدعي الفداء » . ومع نتائج القتال الشرس الـــذي دار قرابة الأيام العشرة ، كـــان حزب النظـــام ، غير المعلن ، البرجوازية البيروقراطية في الدولـــة والجيش ، بعض اجنحة البرجوازيـــة الكبـــيرة ، والزعماء العشائريون ، يسجل انتصاره لمصلحته الخاصة تحت عنوان « مصلحة البلاد والمجتمع » وفي الوقت ذاته كـــانت نشوة الجنود بسقوط عدد من اجـــزاء « المدينة » بيدهم ، بعد ان استعصت عليهم في الايام المـــاضية ، قد بلغت ذروتها ، فلم ينسوا ان يحولوا نارهم ، ونهبهم الى الاحيـــاء البرجوازية ، التي ابدت تساهلها وضعفها تجـــاه